رسائل لم تصل

تأليف

سامر مُحسن

الإهداء:

الى صاحبة هذه الرسائل، وبطلة الرواية التي تسكن بين أحرف الكلمات، والمقصودة في كل نصٍ أكتبه.

مثل ما سكنتِ قلبي ولم تُعطيه أيّ اهتمام، فاح عبق ذكراكِ لتسكنِ بين الكلمات دون علمٍ منكِ وعدم اكتراث.

لم أنشر هذه الرسائل بقصد التعريف بكِ أمام الملأ، بل لتنتشر الرسائل في العامة على أمل أن تجديها في إحدى المكتبات أو تصل الى مسامعك أن هنالك رسائل نشرها كاتبٌ لا يعرف الفرق بين الميم، والباء لاقت استحساناً من كل قارئ لا يهتم إلّا بقصص الحب، فيُصيبك الفضول لتقرئيها وعند وقع نظرك على اسم المؤلف ستتذكرين من أكون،

وتقرئي رسائلي لكِ التي لم تصل، فتصل بهذه الطريقة!

أرجو أن تنجح خطتي، وتصل تلك الرسائل وتقرئيها في الليل أثناء هز سرير طفلك.

الى حبيبتي الغالية:

مضى يومٌ كامل على غيابك عني، لقد اندثرت جميع تقاطيع وجهي لتتجد الى شرنقة أجلستني وحدي في مخيلتي، أعزلتني عن هذا العالم الضائع في وسط فكرٍ من التحديق في الأشياء التي تُشبه ملامحك.

أرجو أن لا تعنفيني ف أنا لا أقصد أن الأشياء هي التي تُشبه ملاكاً مثلك، لكن ألم تخبريني بانك تُحبين أن أشرح لكِ الكمين من الكلام؟

سأشرح لكِ يا عزيزتي، من فرط الشوق الذي أصابني لحظة تكتم السدف وأنتِ غائبة، ومن نقش صورتكِ التي لم أُشاهد شيئاً غيرها ليلة البارحة عند الانتظار، ومن كثرة التفكير بك، عقلي اضطرب، وفقد عقله، فأصبحت أرى الأشياء أنتِ.

أُريد طرح السؤال مع علم الجواب، صغيرتي لا تعرف أني أواجه شرود هذا العالم المُشرّد بصورتها الصغيرة المُخبأة في جيبي؟

مصدر قوتي، وسعادتي، تفاؤل الروح عند تثبيط العزيمة.

ليختنق العالم في ظلام التارتاروس، ليتفتت في مُحيط العدم، ليحترق بحرارة موسبلهايم التي أذابت جليد نيفلهايم لحظة تكوّن الحياة، لا يهمني سوى أن تبقِ معي في أشدّ أوقات التعصب والضياع.

لا أُصدق كيف مرّ اليوم دونك، كان أشبه بتيار زمنٍ جارف أثار الساعة حتى باتت ترجع الى الخلف.

نسيت اخبارك لا تكترثِ للفقرة التي وُرد فيها لا يهمني شيء سوى أن تبقِ معي؛ لأنها الفلسفة التي حاولتِ قهرها في نفسي، ألم تُخبريني أنكِ تكرهين

هذه الفلسفة؟ لطالما حاولتِ منعي عنها وعاندتينِ لأتركها، أرجو أن تأتي وتُعانديني.

طفلتي المدللة، كان علي اخبارك كم كنتِ جميلة، كم أنا أُحبك، كم يبدوا العالم جميل عند وجودك، ليتني استغللت وجودك حتى أنتهز فرصة الشبع منكِ قبل افتقادك، لم أكذب عندما كنت أقول لكِ: لا أستطيع المقاومة من دونك، وبالفعل لا أستطيع العيش من دونك.

لقد اشتقت لكِ، أنا لا أقصد ما جرى بيننا، ولن أُسامح نفسي على إثم الجُرم في حقك، كيف يمكنني أن أكسر قلباً كقلبك؟، وأُضيّع روحاً كروحك؟،

أنا وحدي هنا من دونِك، أشتاق الى الطريق الذي جمعنا، الى رسائلك التي كانت تصنع يومي، وتُعطيني الطاقة العظيمة لكي أحرر كل مُستعمرٍ في العالم.

تعبت يداي من فرط الكتابة، تعب الدفتر من تمزيق الصفحات، سئمت القمامة من احتواء أفكاري الممزقة، لم أعد أعرف شيء لا أستطيع تجميع الأفكار في نصٍ واحد، ليس لدي ما اكتبه من اللغة، كل ما أعرفه هو أنّي أحتاجك، تعالِ الي واخلقي النزاع، حاوريني كما لو كنت خائناً، اشتمِ لعدم اهتمامي بكِ لكن أرجوكِ أن تأتي. أحبك....

الى صديقتي المفضلة:

مضى شهرٌ كامل ولم أسمع لك الحسيس!، مضى شهرٌ كامل عن أخر رسالةٌ لكِ لماذا لم تُجيبِ عليها؟ هل وصلتك من الأساس؟

أُصبت بالعمى وأنا أُحملق في هذا الطريق بانتظار ساعي البريد حاملاً رسالتكِ ليعود بي الى الحياة.

الصبر قد يقتل أحياناً، وأنا أخاف أن يبقَ الهواء في جسدك سبع ثوانٍ متتالية، أين أنتِ؟أرجوكِ

أن تأتي.

نشّت عيني من عدم الرمش وأنا أنتظر، تشتت ذهن عقلي بينك وبين الرسالة التي ظننت أنها وصلت ولم تصل.

أرمق نفسي بنظرة التحسّر كلما مررت من جانب المرآة، أنظر الى وجهي الشاحب وأُحس بالفراغ لا أرى سوى نصف وجهي أفتقد نصفي الأخر لأنكِ النصف.

سأم الانتظار يعصف، أشتاق لتعصّبك عليّ، لمشاكلنا التي تزيدنا تنهداً ثم نأتي الى بعضنا باشتياق وتزداد علاقتنا أكثر بعد المصالحة.

أرجو أن تأتي إليّ كما كنتي تأتين بعد مشكلتنا وتخبريننني باشتياقك الذي وصل عنان السماء، ونعود أكثر قوة من قبل، مشكلتنا الأخيرة أخبرتني أنكِ ستأتي في الغد ل تتناسي المصيبة التي حلّت بنا، ولا أعلم عن طبيعة التوقيت في كوكبك الأخر هل الدهر عندك يوم؟

اذا قصدتي بذلك أن تعاقبيني فأنا أتوب كل يوم عن ذنبي بحقك فلا تحرميني منكِ، ولا زال الربّ يغفر ليّ على كل ذنوبي حتى التي لم أرتكبها من كثر الاستغفار.

أرجو من كل قلبي أن تشفقي على قلبي الحزين، اختلف نبض ضخ الدم في مجرى جسدي، لقد تحطم الى نصفين، خذي قلبي بعيداً سأرسله مع هذه الرسالة من الأساس.

أصبح قلبي كوجهي عندما أُناظر المرآة، أرجو أن ترجعي الى أول الرسالة لكي تعرفي صورتي الفنية جيداً.

بالحقيقة أتعلمين هذا القلب المكسور الذي يُستخدم على مواقع التواصل الاجتماعي؟

هذا قلبي بصورة كرتونية أوهم شركات التواصل باستخدامه، أفخر به لقد أصبح مشهوراً.

أرجو أن تجيبي هذه المرة، فاجئيني برسالة منك توبخيني لأني لم أخبركِ أن هذا الفستان يليق بكِ أكثر، لأني لم أخبرك أنكِ أجمل الملامح على الكرة الأرضية وتجيبيني أنا؟، وأخبركِ نعم أنتِ يا ملاكي الصغير.

الى الغريبة التي استئجرت طابقاً في قلبي وذهبت دون دفع الإيجار مرّت سنة كاملة عن رسالتي الأولى ولا زلت أنتظر.

خرج الطحال أسفل عيني من رطوبة الدمع الذي نُزّ، نبت العُشب في وجهي من وفرة المياه، أصبح وجهي موطناً للحيوانات الصغيرة وذلك بسبب وفرة

المياه وخصوبة التربة، والموقع المتوسط بين أخاديد وجهي.

لقد مللت الانتظار، فاتتني الساعة، سئم مني الأرق،

أصبحت أسمع تأفف القمر عند خروجه وكأنه يقول:

لقد عاد هذا العاشق الى بُكاءه، يُشفق عليّ من الأساس، لو انه يستطيع السقوط لأوصل الرسالة.

أندب حظي أم أشتم عجرفتك؟

النبع الذي تفجّر من عيوني اقترب من الجفاف، أخاف أن ييبس الطحال والعشب الذي توّلد من رطوبة ما حول النبع.

لا تأتي الطبيعة البشرية إلّا بالعقاب، وأنتِ عاقبتني بما فيه الكفاية، جعلتني أُمزق دفتر الماضي كما مزقت دفتري عندما كنت أُحاول كتابة أول رسالة لكِ، قبل سنة من الآن.

نحن لا نُفرّق بين الصواب والخطأ إلّا بعد الندم على الخطأ، يدمث الكسر عند الهشاشة وللأسف نحن لا نلين إلّا بعد السقوط.

أتعلمين شيئاً؟ لو وصلتكِ هذه الرسالة أرجو أن تلاحظي أنني لم أكتب ذكرى تخصّنا!؛ لأنها ارهقتني، انتهز الشيطان فرصة تعذيبي لأني عبدٌ صالح أُكثر من الاستغفار كلما تذكرت أخطائي معكِ؛ لذلك لا يُذكرني إلّا بجميع جوانبك الإيجابية، وذكرياتنا الحلوة التي ما كانت سوى فاكهة حلوة تغيّر طعمها بعد شرب المياه وبالفعل تناسيت أنكِ حبيبتي كلما شربت دموعي، وتذكرت كم كنتِ لطيفة معي.

مرّ الوقت بطيئاً دونك! أعتقد أنكِ لن تأتي، ومع ذلك لدي شك بإن رسائلي ستصل! سأفعل المستحيل لإيصالها، أعدك بذلك.

نالت الحياة مني، أعترف لكِ في سطور أخر الكلمات، اشتقت لكِ كما يشتاق الطفل الى والدته، وأعلم أن الأم لا تترك صغيرها مها حدث!

لماذا تركتني هكذا؟

عقلي يمتلئ بالكلام المُبعثر، أعتذر لقد سئمت ترتيب الجُمل، لقد نفد حبري هنا، وتبعثرت أشلائي هنا وهناك حتى لطخت المكان، فوضى المكتب سبب الوفاة لسبع عاملات تنظيف من صدمة المنظر الذي يُصنف بأنه إحدى عجائب الدنيا التي صنعها الإنسان من فوضى عارمة.

نقش التلعثم قد طُبع على شفتي، رعشة اليد منعت قلمي من التحرك على الورقة كيفما شئت، سيطر قلبي على عقلي، انتهت الحرب والمعركة ذلك القلب الصغير الذي كنت أعتقد أن وضيفته ضخ الدم ليس إلّا هو من انتصر.

تتبعثر الأوراق وتتكشّف الحقيقة، لا تأتي اللعنة من فراغ لابد وتدّخل الطلاسم والنصوص، ألن تأتي ؟

لقد مللت من طرح الأسئلة ، أترك لكِ هذا النص

الذي كتبته لكِ قبل حفل الوداع:

رُغم بعد المسافة التي تفصلنا، إلا أنكِ أقرب اليّ من نفسي، سئم قلبي من تلوث غثيان الفجر المظلم الذي يخلو منكِ! أريد الفجر أن يأتي عندما تكونين معي، رسم الديار الباهتة تفتت وهو حاضن لصورتك التي كانت على الحائط من فرط شوقه لكِ.

أحتاجك معي، عند الأصيل حين تنصل الشمس من ثوبها وتتجرد.

قوقعة الانتهار النفسي تنطلي عليّ وقت تعصبنا على بعضنا، لا تحرميني فرحة اللقاء بكِ أو أن نكون متحدين تحت صفٍ واحد عند نعث الفتور بيد العاصي.

أحببتك بكل طاقتي التي استُنزفت وتجعدت

وتقهقرت في عزة نهوضها عند اندحار جيشي أمام عينيكِ التي تلمع ألوانها لحظة الظهيرة وأثناء البكاء.
رعشة اليد، ونفحة الهبوب أثناء صديد الشمس في وسط الصحراء، وطقطقة العظام والتفكر بكِ هو ما أفقدني نفسي عند استماعي للأغاني التي تُذكرني بكِ.
لو تعلمين كمية الفرح بلقائك لعجلتي به، قحط السنين وجهد الرقة، وسدف الليل أسبابي الرئيسة للتفكر بالزواج بكِ أفعل أي شيء حتى ترضين بي ولربما أستطيع الولادة عنك لا أحمل فقط شغل البيت وتدبيره!

ألن تأتي؟